قراءات نقدية في ومضات قصصية لأحمد عثمان

د. جمال الجزيري

سأتناول في هذه الدراسة بعض الومضات القصصية المنشورة على مجموعة سنا الومضة القصصية للقاص المصري أحمد عثمان، وتم نشر الومضات في كتاب جماعي للومضات المنشورة على المجموعة في فبراير ومارس وبداية أبريل 2016 في كتاب بعنوان "نداء حياة[6]" في أبريل 2016.

[6] أحمد عثمان. "5 ومضات قصصية". نداء حياة: ومضات قصصية. إعداد: د. جمال الجزيري. دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني: ط1، أبريل 2016. ص 44-45. رابط تحميل الكتاب:
http://www.mediafire.com/download/kpg0cgpq67pgff6/%D8%A3%D8%B9%D8%B6%D8%A7%D8%A1_%D9%85%D8%AC%D9%85%D9%88%D8%B9%D8%A9_%D8%B3%D9%86%D8%A7_%D8%A7%D9%84%D9%88%D9%85%D8%B6%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B5%D8%B5%D9%8A%D8%A9%D8%8C_%D9%86%D8%AF%D8%A7%D8%A1%D9%8F_%D8%AD%D9%8A%D8%A7%D8%A9%D9%8D%D8%8C_%D9%88%D9%85%D8%B6%D8%A7%D8%AA_%D9%82%D8%B5%D8%B5%D9%8A%D8%A9%D8%8C_%D8%B71%D8%8C_%D8%A3%D8%A8%D8%B1%D9%8A%D9%84_2016.pdf

obeikandl.com

لحظة شيطانية

في الاتجاه المُعاكِس تناثرت محتويات الحقيبة المُخْتَطفة مُلطخةً بدمهِ، صرخاتٌ مُلتاعةٌ تُطْلقها الفتاةُ مع الحادث.

24 فبراير 2016

توقَّفتُ كثيرا أمام النص، والسبب أن العنوان أربكني كثيرا، فكيف تكون هذه اللحظة المصوَّرة في النص لحظة شيطانية؟ ما أفهمه من النص عندما نعيد تركيب الحدث هو: فتاة تسير في الشارع يأتي شخص ويخطف حقيبتها ويجري هاربا نحو الاتجاه المعاكس، لكنه يموت لسبب ما وتتناثر محتويات الحقيبة التي بيديه ملطخة بدمه، وهنا تصرخ الفتاة لوعة أو التياعا عليه.

توجد في النص فجوتان، وكلتاهما لا تصب في اتجه تأويل اللحظة على أنها شيطانية:

الفجوة الأولى تكمن في السبب في أن هذا السارق الذي اختطف الحقيبة غير واضح، فالانطباع الأول الذي برز في رأسي أن الحقيبة كانت بها متفجرات، وأن هذه المتفجرات انفجرت في الشخص غير المقصود، وكأنه كان يسعى لقدره وتحويل هذا القدر، دون أن يدري، بعيدا عن آخرين مقصودين. وقد يكون هذا السارق قد صدمته سيارةٌ في الاتجاه المعاكس، وهو احتمال ضعيف لأن السارق يعرف طريق هربه جيدا. وهذه اللحظة ليست شيطانية، فعلى كل حال تلقى هذا السارق جزاءه على الفور.

أما الفجوة الثانية فتتمثل في الصرخات الملتاعة للفتاة: هل تصرخ لأن حقيبتها تم خطفها؟ هل تصرخ لأن المتفجرات تفجرت في الشخص غير المقصود؟ هل تبكي لأن السارق مات لأي سبب كان؟ لكن توقيت إطلاق الصرخات ينفي السؤال الأول هنا، ويبقي السؤالين الثاني والثالث كاحتمالين واردين. وهنا لا نجد أيضا لحظة شيطانية، فبكاء الفتاة في الحالة الأولى يدل على أن قلبها

obeikandi.com

مازال به قدر من الإنسانية، وفي الحالة الثانية تتضاعف هذه الإنسانية لأن الفتاة ترى أن العقاب الواقع على السارق أكبر بكثير من جريمة السرقة.

ولو كانت تبكي على تناثر محتويات حقيبتها، فهذه المحتويات قابلة للاستعادة من خلال التحرك إلى الاتجاه المعاكس ولملمتها، وهنا يبرز احتمال آخر، وهو أن تلطُّخ هذه المحتويات بالدماء يحمل في الخيال الشعبي احتمال أن تقترن هذه المحتويات بالأشباح المتمثلة في شبح القتيل الذي سيلازم هذه المحتويات، الأمر الذي يوحي بأن الفتاة ستتخلص منها للأبد بالرغم من احتياجها إليها.

في كل الحالات، نحن أمام نص ثري أفسده عنوانه. وعندما ننظر إلى الصياغة الأولى للنص التي نشرها المؤلف من قبل على مجموعة سنا الومضة القصصية أيضا، نجد أنها تقدم لنا نصا مختلفا أقل ثراء وأقرب إلى القصة القصيرة جدا:

obeikandi.com

لحظةٌ شيطانيةٌ

اختطف حقيبتها، وفرَّ مُسرِعًا، تلاحقُهُ صرخاتها، طاردوه؛ في الاتجاه المُعاكس تبعثرت المحتويات مختلطة بدمه.

22 فبراير 2016

فهنا نحن أمام نص مختلف عبارة عن قصة تقليدية لا تحمل دلالة إنسانية كبيرة، فهنا لص يسرق حقيبة شخصية نسائية لا نعرف إن كانت فتاة أم لا، وتظهر شخصيات جماعية يدل عليها ضمير الغائب الجمع في الفعل "طاردوه"، والحقيبة هنا حقيبة عادية، ولا يبرز في النص سوى القصاص أو العقاب أو العدالة الجماعية المتمثلة في قيام أفراد المجتمع السائرين في الشارع بالتعدي على السارق بالضرب إلى أن ينزف، ولا نعرف إن كان قد مات أم لا، فما يبرزه النص هنا أن العقاب الشعبي يتجاوز العقاب الذي تستحقه الجريمة، أو بالأحرى الجُنْحَة، وأن هذا العقاب

قد يؤدي إلى ضياع الحق الأصلي المتمثل في تناثر محتويات الحقيبة هنا.

لكن هذه الصياغة، كما ذكرتُ، تحول النص إلى قصة قصيرة جدا، والصياغة السابقة هنا تجعله ومضة قصصية تركز على لقطة واحدة ذات بُعدين أو مكونة من لقطتين يتم تركيبهما معا في لقطة واحدة: ففي الاتجاه المعاكس هناك الدماء ومحتويات الحقيبة المتناثرة المفتوحين على أكثر من تأويل، وفي الاتجاه الذي تقف فيه الفتاة هنا صرخاتها الملتاعة التي تحتمل أكثر من تأويل أيضا. وفي الصياغتين، يظل العنوان وحدة شاذة تقف أعلى النص وخارجه ولا تتناسب معه لأن النص أكثر ثراءً من هذا التصنيف الأخلاقي البارز في العنوان.

أين أنتم ..؟!

حائرًا يستشرفُ المُخيَّم من فوق التلَّةِ؛ يُساءل نفسه:

ـ تُرَى أجدُ ضالَّتي بين تلك الخِيام الشريدة ؟

24 فبراير 2016

نص غير مكتمل أمام القارئ، ويرجع ذلك إلى تجهيل بعض عناصر النص، فالشخصية هنا غير واضحة المعالم، فلا تتضح منها إلا الحيرة والبحث عن شيء ما غير محدد، ولا نعرف الدافع وراء سلوكه وسؤاله هنا: هل هو يريد إقامة له في المخيم؟ هل هو يريد أن يسطو على محتويات الخيام؟ هل هو يبحث عن شخص أو أشخاص في هذا المخيم؟ هل هو لص أم لاجئ آخر؟ وتتمثل المشكلة الأساسية هنا في أن كلمة "ضالتي" لا تكشف شيئا للقارئ، وكان على الكاتب أن يبرز ما يبحث عنه هذا الشخص حتى يستطيع القارئ أن يشكِّل صورة مكتملة عن الحدث الوارد في الومضة.

obeikandl.com

أي ومضة قصصية وأي نص أدبي قصير للغاية يعتمد على مبدأ الحذف الدال، والتكثيف لا يعني حذف بعض العناصر المهمة في النص وإنما يعني إيراد تفاصيل بطريقة مكثفة جدا تحيل إلى عالم كامل توجد في الشخصية. والإحالة والحذف الدال لا يعنيان التضحية ببعض عناصر النص، وإنما يعنيان أن الكاتب يقدم لنا تجربة ثرية من خلال التركيز على لحظة زمنية واحدة تحيلنا إلى لحظات أخرى من الحدث وفي حياة الشخصية.

والنص هنا عبارة عن لحظة واحدة، ويلتزم بالمدى الزمني للومضة القصصية، وهو مدى يميزها عن القصة القصيرة جدا كما بينتُ في مقالات ودراسات لي من قبل. ولكن النص الحالي لم يستطع أن يُقرن بين هذا المدى الزمني القصير وعناصر نصيَّة كافية لتصوير لحظة مكتملة ولقطة محددة المعالم يمكن للقارئ أن يقوم بتأويلها تأويلا متكاملا ومترابطا، وإذا كان عليه أن يحقق هذا التأويل فسيضطر إلى التخمين. والتخمين لا يتماشى مع النص الأدبي الجيد الذي لا

obeikandi.com

بد أن يقف مستقلا بمعزل عن حضور الكاتب بجانبه ليوضح للقارئ ما يقصده مثلا بكلمة "ضالته" أو ليوضح له سمات الشخصية التي يبرزها النص هنا.

كما أن عنوان النص "أين أنتم؟" لا يعيننا على وضوح النص، فمن الواضح أن العنوان يوجه مساءلة لفئة ما أو مجموعة ما وربما يُسائل القراء أنفسهم ويستجوبهم، وكأن القراء أو غيرهم مسئولين عن الوضع الماثل في النص. وعندما نعود إلى النص يمكننا أن نسترشد بلفظ دال يأتي عبارة عن نعت لكلمة "الخيام"، أو وهو كلمة "الشريدة"، وهي كلمة تدل على أن المخيم واقع في مكان مهجور بعيدا عن العمران، وكأن وضعه هذا يدل على أن من أقاموه أقاموه فقط لكي يؤدوا واجبا بطريقة آلية لا تحقق الغرض من إقامة المخيم ذاته، وربما لم يقمه أحد وأقامه ساكنوه في هذا المكان المهجور هربا من خطر أكبر، وفي كل الحالات ساكنو المخيم في خطر لأن تشرد المخيم يوحي بأنهم سيتعرضون للموت جوعا أو عطشا أو يتعرضوا للهجوم،

وربما كانت الشخصية الواردة في النص ذاتها مصدر خطر على سكان المخيم.

وفي كل الحالات، لا يتعاطف القارئ مع سكان المخيم لأنه لا يعرف عنهم شيئا ولا توجد نافذة نصية يمكنها أن تجعل القارئ يعايش مأساتهم، كما لا توجد نافذة نصية على الشخصية تمكّن القارئ من أن يعرفها ويتعاطف معها أو يدينها لأنها شخصية غامضة ومجهولة بالنسبة له.

وعاد النهرُ يجري

تساقطتْ سُنونُ العُجْفِ عن كاهِلِهِ، وتحررت خطوتُهُ وهو يُهَرْوِل شابًا نحو المنصة ليتسلم جائزة قصتِهِ.

22 فبراير 2016

أول ما لفت انتباهي عند قراءة هذه الومضة هو تشكيل بعض الكلمات، فكلمة "سنون" التي هي جمع "سنة" تشكيلها الصحيح هو "سِنُون" وكلمة "عجف" تشكيلها الصحيح هو "عَجَف". وسواء أكانت الكلمة مشتقة من "عَجُفَ" أم من

oberkandl.com

"عَجِفَ"، فإنها تعني الهزال لقلة الأكل أو الزاد أو التغذية. ولا ترتبط بالشيخوخة لغويا، فالعجف قد يصيب أي أحد أو أي شيء لا يحصل على التغذية المناسبة، و"سنون العجف" هنا تدل على أن هذه السنوات تخلو من الغذاء الكافي أيا كان نوع هذا الغذاء. كما أن هذا العجف أو الهزال لا يمنع سهولة الحركة ورشاقتها بالضرورة، وربما كان عاملا مساعدا على سهولة الحركة لأنه يعني أن الجسم خال من الدهون والترهلات التي قد تُبطئ حركته.

وفي كل الحالات، كلمة العجف كلمة مهجورة لا تسري على الألسنة في اللغة العربية المعاصرة ولا نستخدم من مشتقاتها إلا كلمة "العجاف" نظرا لحيوية الكلمة ودلالاتها الحية في القرآن وكلمة "عجفاء" التي تستخدم كصفة وكمفرد لكمة "العجاف". فأي لفظ في اللغة لا يحتفظ بحيويته على الدوام، إذ أن الألفاظ كائنات حية تعيش وتضعف وتموت وتتحور وتتوالد فتعيش بعض اشتقاقاتها وتموت اشتقاقات أخرى منها، وما إلى ذلك من مظاهر وجود. والومضة

obeikandl.com

القصصية فن سردي معاصر جدا وحديث النشأة، وكونه معاصرا يعني أن لغته لا بد أن تكون معاصرة، وكذلك الأمر في كل الأنواع الأدبية وغير الأدبية التي تكتب حاليا، ولا يمكن قبول لفظ مهجور إلى على سبيل التناص الذي يستحضر في النص الحالي طبيعة الحياة التي كان هذا اللفظ حيا فيها وفي سياقات محددة، خاصة عندما يتم الاستحضار من سياقات مشهورة كسياق الكتب السماوية أو الكتب التاريخية حين يتعلق اللفظ أو التعبير بحادثة تاريخية أو اجتماعية شهيرة يقوم الكاتب باستحضارها كي يبني نصه على دلالاتها، وفي كل الحالات لا بد أن يكون النص الحالي مكتملا وقابلا للتأول في ذهن القارئ الذي لا يعرف السياق الأصلي الذي يتم استحضاره من خلال التناص.

وعندما ننظر إلى نص الومضة الحالية، نجد تباينا بين الجملة الأولى وباقي النص، إذ أن باقي النص يخلو من الألفاظ المهجورة وينم عن سلاسة وانسيابية في نقل الحدث. والنص في مجمله ينقل لنا لحظة حدثية جيدة. ومن وجهة

obeikandi.com

نظري، من الأفضل حذف الجملة الأولى وإضافة صفة لكلمة "خطوته" توحي بتاريخ الشخصية في السابق دون أن تستحضره استحضارا كاملا، وإلا سيخرج النص من نطاق الومضة القصصية ويتحول إلى نص قصصي آخر، كأن يصف الراوي هذا الخطوة بأنها "مكبَّلة لسنوات" ويصف "الجائزة" بأنها "الأولى" على سبيل المثال.

وقد يرى قارئ يهوى المذهب التفكيكي في تحليل النصوص أن الهزال الذي كان يصيب الشخصية يصيب أيضا أسلوب كتابتها للقصة، إذ أنه هزال يشمل جميع نواحي حياته، والكتابة أحد جوانب هذه الحياة، وبالتالي تكون الشخصية مسئولة عن عدم تقديرها، هذا إذا اعتبرنا أن الجوائز الأدبية دليل على التقدير وعلى جودة المُنَتَجِ الأدبي. فقد يرى قارئ آخر أن الجوائز في وقتنا الحالي لم تعد دليلا على جودة الإبداع، وبالتالي ينظر إلى التحول المفاجئ في حركة الشخصية على أن هذه الشخصية تبحث عن الجوائز فقط وعندما لم تجدها تركت قلمها يهزل.

obeikandl.com

وجهات نظر!!..

كلاهما راح يُسفِّهُ رؤية صاحبه لِما تبوحُ به اللوحة، من خلفِهِما يتقدم ـ بهدوء ـ ليصوِّبَ وضعَها المقلوب.

26 فبراير 2016

أول ما يلفت انتباهنا في هذه الومضة القصصية هو الفعل "تبوح"، فالبوح مكاشفة وتكشُّف وكشفٌ للحالة الوجدانية والفكرية والنفسية، الخ، ويقوم به الشخص أو الشيء ويخاطب به شخصا حميما توجد بينهما علاقة قوية وحميمه وصادقة تجعل الأسرار التي يكشف عنها البوح في مأمن، ويكون في الغالب بدافع الفضفضة أو تقوية العلاقة بين الطرفين أو لإبراز نقطة خافية على المستمع أو المتلقي حتى يكون هذا المتلقي أكثر وعيا أو إدراكا أو أقوى مشاعرَ.

وعندما ننظر إلى البوح في الومضة هنا نجده يقترن باللوحة بوصفها مصدر هذا البوح ويقترن بالتسفيه الذي يوجّهه كلا من الطرفين محل التلقي لتأويل أحدهما الآخر. ومن هنا أرى أن لفظ البوح غير دقيق هنا، لأن الشخصين

إذا كان أهلا فعلا للبوح كانا سينصتان إلى اللوحة في حد ذاتها وكانا سيعتبران أن كل تأويل من التأويلين له وجاهته.

ولكن الراوي لا يريد أن ينقل لحظة تلقي هذين الشخصين للوحة، وإنما يريد أن يقدم المفارقة المتمثلة في كون اللوحة معلقة بالمقلوب على الجدار، ولذلك يبرز الشخص الثالث في نهاية الومضة ليعدّل وضع هذه اللوحة على الجدار.

ومن الواضح أن النص مكتوب من أجل المفارقة، الأمر الذي يدل على أن الراوي ينظر إلى كتابة الومضة القصصية على أنها مفارقة في الأساس، وبالتالي يُخضِع كل شيء في النص لهذه المفارقة، أي يصيغ باقي النص بطريقة تمهد الطريق لهذه المفارقة، الأمر الذي يجعله يقع في الافتعال ويجعله يتعسَّف في استخدام الألفاظ غير المناسبة، فالبوح يفترض الإنصات ويفترض الفهم والاستيعاب ويفترض أهلية الشخصين الواردين في بداية الومضة لأن يتلقيا اللوحة الفنية ويقوما بتأويلها تأويلات مناسبة حتى لو

اختلف تأويل أحدهما عن تأويل الآخر تماما، ولكنها على أية حال سيتقبلان كل التأويلات المحتملة، ولكن الراوي يجعلهما يسفهان تأويل أحدهما الآخر، ويجعلهما لا يلتفتان إلى كون اللوحة معلقة بالمقلوب، الأمر الذي يخلق نصا متنافرا لا تلتحم عناصرا لتشكِّل نصا وامضا متجانسا. فهذا النص – مثل بعض النصوص الأخرى لأحمد عثمان – يلتزم بالمدى الزمني الضيق للومضة الذي يتمثل في لحظة واحدة ولكنه لا يقدم نصا مكتملا وإيحائيا ومتجانسا ومترابطا.

الومضة القصصية بوجه عام تستثمر الحيز المكاني الضيق والمدى الزمني اللحظي القصير للغاية في تقديم نص سردي مكتمل يعتمد على الإيحاء والحذف الدال والكشف الذي يجعل اللحظة الموجودة في الومضة لحظة دالة في حياة الشخصية وتحيلنا إلى لحظات أخرى من حياتها وتبرز لحظة إنسانية مهمة ومصيرية سواء أكان هذا المصير على مستوى الحدث أم على مستوى الوعي والإدراك أم على مستوى لحظة التنوير الكاشفة التي تمكننا من أن نبصر ذواتنا كبشر

في النص في لحظة ما من حياتنا نكون قد مررنا بها أو نمر بها أو يحتمل أن نمر بها. ولذلك لا بد أن يكون كل لفظ في موقعه المضبوط وأن تتكاتف كل عناصر النص لتقوم بدورها في إبراز هذه اللحظة الكاشفة، ومن هنا لا يمكن للقارئ أن يتقبل لفظا متنافرا أو في غير محله، إلا إذا كان هذا التنافر مقصودا ويتم تقديمه بطريقة فنية تبرزه وتجعل أنظار القارئ تلتفت له من أول وهله، فهذا الإبراز سيجعل في هذه الحالة هذا التنافر هدفا في حد ذاته بحيث يركز القارئ على العلاقات المختلفة التي يمكن للعنصر المتنافر أن يولدها مع باقي عناصر النص.

obeikandl.com